فيما الجهازان السياسيان في امريكا واسرائيل يُعيدان النظر لرؤيتهما للنظام السوري وامكانية التفاوض معه

اسرائيل تولي ملف ايران لقائد سلاح الجو استعدادا لامكانية اندلاع الحرب معها

■ قائد سلاح الجو اليعيزر شكيدي هو شخص مرتب يعرف كيف يُدير الجلسات ولقاءات العمل بنجاعة. سلاحه خرج من حرب لبنان الأخيرة بوضع أفضل من الأذرع الاخرى في الجيش: القوات البرية والبحرية والاستخبارات، كلهم مشغولون بتحقيقات ودرائع، أما «الزُرق» فيتفاخرون باصاباتهم الدقيقة لقواعد حزب الله الصاروخية. قبل عدة اسابيع من اندلاع الحرب، تلقى شكيدي من رئيس هيئة الاركان حلوتس تعيينا خاصا باعتباره «قائدا للمعركة» ضد الدول غير المحاذية لاسرائيل، أي ايران على رأسها. مهمته هي بلورة خطط الحرب في مواجهة ايران وادارتها في حالة اندلاعها. الموساد و«أمان» اللذان يجمعان المعلومات ويحللانها حول ايران يُنسقان معه.

العملية الخاصة في بعلبك التي اختطف فيها عن طريق الخطأ بائع الخضار اللبناني حسن نصر الله وأبناء عائلته تُعبر عن تصور شكيدي لاستخدام القوة: عندما يتوجه الجيش الى عمليات بعيدة لا يكون سلاح الجو مجرد شركة نقليات لنقل المقاتلين الى الهدف واعادتهم. قائد سلاح الجو أشرف من مقر السيطرة الخاص به على الوحدات المشاركة كلها في بعلبك. هو يعتقد أن العملية قد نجحت حتى وإن كان الخطأ في تشخيص الأهداف قد أظهره في وقت لاحق بصورة سخيفة. من الممكن الاعتقاد ايضا أن هذه كانت مناورة من اجل تنفيذ عمليات أكثر تعقيدا في المستقبل.

الاستخبارات الاسرائيلية لم تفاجأ في هذا الاسبوع من رد ايران على العرض الدولي بـ«لا، ولكن». شعبة الاستخبارات العسكرية تقول للمستوى السياسي في القدس أن ايران تواصل مشروعها النووي بكل كثافة سواء في المنشآت المعروفة أو على المستوى السري. في طهران لا يرون أن هناك تهديدا دبلوماسيا حقيقيا يمكنه أن يحدق المشروع بالخطر: الغرب خرقة، ومن الممكن الاعتماد دائما على الاوروبيين النوائم أو على روسيا والصين حتى يحبطوا المبادرة الامريكية لفرض العقوبات. في اسوأ الحالات ستُفرض على ايران، حسب اعتقادها، عقوبات رمزية، وسيكون بامكان طهران أن تُزيلها من خلال الجمع المعروف بين الابتسامات والتهديد بتحطيم قواعد اللعب.

في يوم الخميس القادم سيمر الموعد المحدد الآخر الذي حدده مجلس الأمن لايران حتى تتوقف عن تخصيب اليورانيوم. القرار 1696 الذي اتخذ في منتصف الحرب في لبنان شدد من لهجته وهدد ايران بخطوات ملائمة تضمن انصياعها. ولكن اسرائيل تُقدر أن أحمدي نجاد سيجتاز هذا الوضع من دون أي صعوبة. هو ومن حوله مصممون على الوصول الى القنبلة النووية، وليس هناك اليوم جهاز دولي يتوحد ضدهم. من الممكن تخيل عقوبات موجعة، ولكن ليس هناك من يطبقها الآن. الادارة الامريكية ضعيفة ومتورطة في العراق، وتوني بلير وجاك شيراك في طريقهما الى الرحيل، وحكومة اسرائيل في وضع انفراط.

في ظل هذه الظروف، عندما تراهن ايران على الزمن لتجتاز نقطة اللاعودة النووية، يقترب القرار الحاسم بشأن العملية العسكرية ـ امريكية أم اسرائيلية ـ ضد ايران وتعيين شكيدي لهذا المنصب الذي ذكرناه يشير الى أن اسرائيل تستعد لمواجهة محتملة مع ايران.

هناك جدل كبير بين الاستراتيجيين إن كانت محاولة تكرار قصف مفاعل تموز (يوليو) في 1981 ستنجح في عرقلة ايران لفترة طويلة، أم أنها ستؤدي فقط الى تعزيز النظام الايراني واندلاع حرب اقليمية. في القدس ليس هناك الآن من يبت في هذه القضايا: اولمرت كان مشغولا بالحرب ضد حزب الله، وهو الآن يكافح من اجل بقائه السياسي بعدها، وهو لم يُجر منذ عدة اسابيع نقاشات حول التهديد الايراني و«طاقم رؤساء الوزراء» الذي أقامه بشكل خاص من اجل هذا الهدف، انعقد لمرة واحدة ومن ثم تلاشى.

الجبروت وليس الجُبن

منذ أن اندلعت الحرب في لبنان وُجهت انتقادات غير قليلة لاريئل شارون. اتهموه بأنه كان أسير صدمة اجتياح بلاد الأرز في 1982 التي أوشكت على القضاء على مسيرته السياسية، ولذلك تجنب المجابهة العسكرية مع حزب الله، وغض البصر عن آلاف الصواريخ التي راكمها. شارون الموجود في غيبوبة لا يستطيع الرد، وهو هدف أمثل للانتقادات. ولكن تفحص التطورات على الجبهة الشمالية يُظهر أن شارون يستحق الانتقادات، ولكن ليس بسبب جُبنه بل بسبب جبروته.

في نيسان (ابريل) 2001 وضع حسن نصر الله شارون على المحك، كما فعل مؤخرا مع اولمرت. حزب الله هاجم بصواريخ مضادة للدبابات مواقع الجيش في مزارع شبعا، وقتل جنديا. بعد نصف سنة من اختطاف الجنود الثلاثة في نفس المنطقة. شارون أراد أن يُظهر له أنه أكثر جرأة ممن سبقوه الذين اعتادوا قصف البنى التحتية اللبنانية. هو قام بمهاجمة موقع للجيش السوري، وقتل نتيجة لذلك عدد من الجنود السوريين بحجة أن على سورية أن تمارس نفوذها على حزب الله، وأن العملية كانت رسالة لها. شمعون بيريس وافرايم سنيه عارضا العملية، ولكن اغلبية المجلس كانت معها. حزب الله هاجم مزارع شبعا مرة اخرى بعد ثلاثة اشهر، فقام سلاح الجو بابادة رادار سوري في البقاع اللبناني ردا على ذلك. وزير الدفاع بنيامين بن اليعازر في حينه قال ان هذا الرد الملائم وأن اسرائيل لم تملك خيارا آخر. حتى يوسي بيلين تحمس وقال بأن القصف مبرر وصحيح. موقفه لم يتغير إذ قال في المجابهة الحالية أن من الواجب قصف أهداف سورية بدلا من ضرب البنى التحتية اللبنانية.

خلال السنوات الخمس السابقة ملأ السوريون مخازن حزب الله بالصواريخ بعيدة المدى، والصواريخ المضادة للدبابات والطائرات التي اشتروها من روسيا. مقاتلو نصر الله دُعوا لاجراء التدريبات في سورية. ليس واضحا من الذي موّل مغامرة بشار ـ المالية السورية أم الايرانية.

شعبة الاستخبارات العسكرية «أمان» لاحظت التطورات، واسرائيل حذرت الأسرة الدولية، إلا أنها وجدت صعوبة في اثارة الثقة في مصداقيتها. اجهزة الاستخبارات الاجنبية اعتقدت على ما يبدو أن هذه دعاية اسرائيلية مضادة، كما أنها كانت مشغولة في مسائل أهم من موضوع حزب الله. انتقام بشار كان موجعا: الصواريخ التي أمدت سوريا حسن نصر الله بها، ألحقت اصابات صعبة باسرائيل في صيف 2006. سلاح الجو نجح في ابادة القواعد الصاروخية بعيدة المدى التي أعطتها ايران لحزب الله، ولكنه لم ينجح في ابادة الصواريخ السورية التي أُطلقت بكميات كبيرة على حيفا ومنطقة السهل. صواريخ «كورنيت» الروسية اخترقت الدبابات الاسرائيلية وجدران المنازل التي كان مقاتلو الجيش الاسرائيلي من المشاة يحتمون فيها. تدفق السلاح السوري تواصل خلال القتال، وعلى حسب الاستخبارات الاسرائيلية ما زال مستمرا بعد الحرب. وهناك شك كبير اذا كان سيتوقف: الحدود من سورية الى لبنان طويلة ومتعرجة وليست فيها جدران أو حواجز حقيقية. بشار الأسد هدد في هذا الاسبوع بأنه سيحبط نشر قوة دولية على الحدود.

أنظروا الى زوجته

المستشرق الاسرائيلي باري روبين، الذي يؤلف كتابا عن بشار الأسد التقى قبل مدة غير بعيدة في واشنطن مع مسؤول امريكي سابق مختص في الشؤون السورية. الامريكي حاول اقناعه بأن بشار هو زعيم معتدل وعصري، وأنه يريد التقرب من الغرب. ومن اجل اثبات ذلك ساق دليلا على ذلك زواجه من أسمى التي ولدت وترعرعت في لندن.

الصورة الشائعة لبشار الأسد في اسرائيل هي صورة الأبله، كصبي كبير الحجم ورث الرئاسة عن أبيه بالصدفة ويقضي ايامه في اللعب بـ«بلاي ستيشن». شخص غير جدي يلعب بالنار ويتسبب بالمشاكل للجيران. يعانق أحمدي نجاد ويسلح حزب الله ويشجع حماس والجهاد ويتغازل مع القاعدة في العراق. نتائج المجابهة في لبنان تثير شكوكا كبيرة في صحة هذه الصورة. الأسد خرج كرابح أكبر من المجابهة بين اولمرت ونصر الله. بعد فترة طويلة كان مقاطعا ومعزولا فيها، وجيشه طُرد من لبنان، تحول الى نجم اقليمي. الصحف الهامة في امريكا امتلأت بمقالات وزراء خارجية ودبلوماسيين سابقين يقترحون مغازلته. اسرائيل توسلت بأن يبقى خارج الحرب، وصمتت على إرسالياته للسلاح لحزب الله. عمير بيرتس يتحرق للتحدث معه، وآفي ديختر يريد اعطاءه الجولان. خطاباته تُبث هنا بصورة مباشرة. فجأة اتضح أن بشار لا يفهم في النساء فقط، وانما في الاستراتيجية ايضا. اسرائيل جريحة، ولبنان مُثخن، وحتى في ايران كانوا سيُسرون لاعادة الدولاب الى الحادي عشر من تموز (يوليو). سورية وحدها هي المسرورة.

الادارة الامريكية ما زالت تعتبر بشار الأسد إزعاجا وتتحفظ من إحياء «المسار السوري». ولكن في واشنطن ايضا هناك زحزحة هادئة. المفوض الامريكي في دمشق الذي أُمر منذ اغتيال رفيق الحريري في 2005 بعدم التحدث مع أطراف رسمية في سورية تلقى في الاسابيع الأخيرة تعليمات باستئناف العلاقة.

«اللوبي السوري» في اسرائيل الذي كان رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية «أمان» السابق، أوري ساغي، زعيم غير رسمي له، نهض حيا بهدوء. رئيس قسم الابحاث في «أمان»، يوسي بايدتس، الذي دخل الى مهام منصبه عشية الحرب، قضى سنة في معهد واشنطن للسياسات الشرق اوسطية وكتب بحثا عن بشار الأسد في الحكم. رفاقه الامريكيون سمعوا منه بأن الغرب لم يحاول اقتراح صفقة شاملة على سورية. الاتصالات مع السوريين تميزت بفترات صمت طويلة مع انفجارات من التوبيخ والتهديد عندما لم يتصرف الأسد بصورة لائقة. لذلك أُضيعت الفرصة لاجراء الحوار الجدي معه.

اسرائيل ايضا اختارت تجاهل بشار، ولم تلاحظ أن الجولان يهمه بدرجة أقل بكثير من والده. هو كان طفلا في العامين من عمره في حرب حزيران (يونيو)، ولم يزر الجولان في أي وقت من الاوقات، ولم يكن مسؤولا عن فقدانه مثل أبيه حافظ الذي كان وزيرا للدفاع في 1967، هذا لا يعني أن الابن سيتنازل عن مطلب اعادة الهضبة، وانما يعني أن الهضبة أقل اشتعالا في عظامه. بشار اهتم أكثر بالحفاظ على الاستقرار الداخلي في سوريا وبقاء الحكم العلوي وموازين اللعبة الاقليمية في المنطقة. الجهات المسؤولة عن التقدير في اسرائيل التي أصغت لخطاب بشار في الاسبوع الماضي فهمت منه أنه لا يتوجه نحو حرب تقليدية مع اسرائيل، وانما يريد دعم «المقاومة». هو لن يرغب في تحويل محطات الطاقة والجسور والبنى التحتية في بلاده الى أهداف لسلاح الجو الاسرائيلي. من المريح له أكثر أن يُضحي بالفلسطينيين واللبنانيين في كفاحه ضد الصهيونية. ولكن حسب رأي الجهات التقديرية آن الأوان، بعد أن قام الجيش الاسرائيلي بما قام به في لبنان، بالتحقق من الفرص السياسية على المستوى الشمالي واعادة النظر في الرؤية الاسرائيلية للأسد.

احمدي نجاد

الوف بن
كاتب في الصحيفة
(هآرتس) 2006/8/25

الرابح الأساسي والفوري من الحرب هو نتنياهو.. الاصوات التي فرت لكاديما تبحث داخل الفراغ العام عن اسم تتشبث به

تشكيل لجنة التحقيق الرسمية تثير قلق اولمرت وبيرتس.. وحلوتس ما زال يدعي أنه انتصر في حرب لبنان

■ لو كنا مقربين من رئيس هيئة الاركان، الفريق دان حلوتس، لتوقعنا أن يقول للجنة التحقيق الأمور التالية تقريبا: في الثاني عشر من تموز (يوليو)، في السادسة مساء، جئنا نحن ممثلي الجيش الى جلسة الحكومة وطرحنا أمامها ثلاثة خيارات. إما أن نشن الحرب على حزب الله وحده، وإما على حزب الله ولبنان معا، وإما حزب الله ولبنان وسورية. أنا بدوري اعتقدت أن من الأفضل السير على الخيار الثاني (حزب الله ولبنان)، وعارضت الخيار الثالث.

اعتقدت في ذلك اليوم، وواصلت الاعتقاد طوال الحرب، أن من الواجب توجيه ضربة قوية للبنى التحتية في لبنان حتى تسارع القوى الدولية وفرنسا الى التدخل. اضافة الى ذلك لبنان هو دولة، وعلى هذه الدولة أن تتحمل المسؤولية السياسية عما يجري. لم أقترح ضرب الجيش اللبناني أو مباني الحكومة. التعليل المضاد لهذا الخيار كان أنه قد يؤدي الى توحيد الشعب اللبناني من خلف نصر الله، كما طرحت الآثار السلبية على الحكومة اللبنانية من جراء ضرب البنى التحتية، الأمر الذي يحول دون تحركها ضد حزب الله، ويُصعّب قضية نشر قوات دولية. كان في قيادة الاركان من اتفقوا معي ـ قائد سلاح الجو اليعيزر شكيدي مثلا، وكان هناك من خالفوني الرأي مثل نائبي موشيه كابلنسكي. نفس الشيء حدث في الحكومة. القرار الذي اتخذ في ذلك المساء ركز على ضرب حزب الله دون لبنان. الجسور التي قُصفت رمت الى الإثقال على حزب الله وعرقلة تحركاته. أنا ايضا عارضت أن تكون المهمة اعادة المخطوفين. من المحظور أن نضع هدفا غير قابل للتحقق. وقلنا بدلا من ذلك أن المهمة هي توفير الظروف لاعادة المخطوفين. وقلنا إضعاف حزب الله وليس تفكيكه أو القضاء عليه. هذه العبارات وردت على لسان الوزراء، وليس الجيش، ودفع اللبنانيين لاتخاذ القرار 1559.

عرضنا عملية تمتد لستة ـ ثمانية اسابيع: اسبوعين من النيران المضادة، ونار من الجو والبر، واربعة ـ ستة اسابيع اخرى للعملية البرية. قلنا إن الكاتيوشا ستواصل السقوط حتى آخر يوم في المعركة. ومع ذلك، كان تقديرنا أن القتال سيتوقف قبل ذلك بسبب التدخل الدولي. الحقيقة هي أن اسرائيل امتلكت اربع نقاط خروج مريحة من الحرب، إلا أن الحكومة قررت الخروج عند النقطة الرابعة فقط.. رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية «أمان»، عاموس يادلين، قال للحكومة أن كل الشروط توفرت لوقف اطلاق النار. تجمع الوزراء السبعة، سمعنا وقرر المواصلة.

الفرصة الثانية كانت بعد 14 يوما عندما زارتنا رايس وأعدت الاتفاق، وفي اليوم ذاته حدثت حادثة قرية قانا. السنيورة قال لها لا تأتي، وضاعت الفرصة.

الفرصة الثالثة شنت عندما اتفقت باريس واشنطن على صيغة الاتفاق. أما الفرصة الرابعة فقد حدثت بعد قرار مجلس الأمن في الثاني عشر من آب/ اغسطس فجرا.

استفزاز حزب الله أعطانا فرصة لضربه بصورة شديدة، وبما يتجاوز عملية الاختطاف المحدودة. القرار كان صحيحا، وأنا أرفع القبعة احتراما لاولمرت على تصميمه وعزيمته، فقد كشفنا النقاب عن غول كان آخذا في الكبر طوال السنوات الماضية، وايران لم تُقدر أن حزب الله سيعطينا ضوءا تحذيريا ويوقظنا من غفوتنا بهذه المرحلة المبكرة. اولمرت ووزير الدفاع أعطيانا كل الدعم الذي نريده وأنا لم اعتقد أنهما سيفعلان ذلك. وقد فوجئت عندما سمحوا لنا بالهجوم الجوي في الليلة الاولى لاطلاق الصواريخ بعيدة المدى.

بالنسبة لاستمرارية ما حدث في الحرب فسأتحدث عنه بصورة منفصلة. كل ما أريد قوله الآن أنني كرئيس لهيئة الاركان لم أتدخل في قرارات المستويات الميدانية التنفيذية. الحدث الوحيد الذي تدخلت فيه كان معركة بنت جبيل. القيادة لم تنفذ مهمتها، وهذه كانت مسألة مبدئية بالنسبة لي. وجهت الأوامر بمواصلة تنفيذ المهمة حتى آخرها. عندما نراهن على رمز فمن الواجب أن نسير حتى النهاية.

أما عدا ذلك فلم أتدخل. كنت اتصل بين الحين والآخر مع قادة الألوية حتى أعرف ما يحدث على الارض، وليس لتوجيه الأوامر.

أنا أريد أن أتحدث بصورة مفصلة عن الخطوة الأخيرة التي أثارت غضب الجمهور والمقاتلين. جئت في يوم الاربعاء الى المجلس الوزاري حتى أطلب تصريحا بالعملية البرية. الله يشهد أن الوزراء حاولوا بالقوة ثنينا عن القيام بذلك. موفاز، الذي طرح اقتراحا بديلا قال اننا اذا نفذنا توصية الجيش فسيسقط لنا 300 ـ 500 قتيل. في نهاية المطاف لم يسقط للكتيبة 98 قتيل واحد خلال العملية.

تلقيت اتصالات هاتفية من وزراء حاولوا التأثير علي وتغيير الخطة. قلت لهم إما أن نحصل على كل شيء أو لا شيء، نحن نتحمل المسؤولية فأعطونا حرية اتخاذ القرار السليم. أردت أن ننفذ العملية عشرة ايام قبل ذلك، ولكن رئيس الوزراء اعتقد أنه قريب من التقدم على المستوى السياسي، فاضطررنا الى إنزال المقاتلين من المروحيات. الآن في وقت متأخر، أظن أنني لم أكن عنيدا بدرجة كافية.

كثيرون يسألون لماذا لم تتوقفوا فور اتخاذ قرار وقف اطلاق النار مباشرة. هذا السؤال طُرح ايضا في المستوى السياسي، وربما لأن المستوى السياسي لم يتمكن بعد من مراكمة الخبرة في المجال العسكري. الوضع ليس كما في المناطق، وأنا بحاجة الى 48 ساعة حتى أُحرك فرقتين، كما قلت لرئيس الوزراء. الفرقة لا تتحرك من مكانها بمجرد الضغط على المفتاح.

أنتم تريدون سؤالي حسب ما أفترض إن كانت كل القضية ممارسة الضغط السياسي على لبنان واعضاء مجلس الأمن، فلماذا أدخلنا الدبابات؟ أنا اقول انه لو كانت المفاوضات في نيويورك قد تفجرت لسألتم لماذا انتظرتم. الفرصة الميدانية كانت ستضيع من أيدينا. القوات لم تكن لتتمكن من القيام بذلك.

في الثالثة فجرا، عندما اتخذ القرار في نيويورك، كنا في مرحلة اجتياز منطقة سلوكي. وهنا طُرح السؤال هل نتقدم الى الأمام من اجل التراجع الى الوراء، أم الرجوع الى الوراء مباشرة؟ أنا أقول من الجيد أننا توجهنا الى الأمام. الرسالة التي تتجاوز ذلك كانت: نحن مصممون. عدا عن ذلك مكّننا السير الى الأمام من الحصول على مكاسب ارضية يمكن لنا أن نساوم حولها. صحيح أن 34 جنديا قد قُتلوا، ولكن يجب أن نسأل أين قُتلوا. من قُتلوا في سلوكي هم اربعة فقط.

موفاز اقترح محاصرة جنوب لبنان، مثلما فعلنا بالجيش المصري الثالث في يوم الغفران. كان بامكاننا أن نضع ثماني طائرات اف 15 في الجو بصورة دائمة وأن نمنع مرور أي أحد الى نهر الليطاني. صحيح أن الحصار البري ذو طابع مختلف.

الآن، يأتون ويقولون لنا أي مغزى يوجد لتقليص اطلاق صواريخ الكاتيوشا عندما يكون هناك وقف لاطلاق النار. ولكن عندما انطلقنا لم يكن أي واحد قادرا على أن يضمن لنا بقاء وقف اطلاق النار وصموده.

أين الفشل؟

الشعور في اسرائيل هو أننا نبدو كمن خسر الحرب. ليس هناك خطأ أكبر من ذلك. صحيح أن نصر الله هو بطل في الشارع العربي، ولكنه تحول الى شخص مقيت في دول المنطقة باستثناء سورية وايران. هذا ناهيك عن العالم كله.

في لبنان تحول من سادة البلاد الى لاجيء. كل القيادة الشيعية تبحث الآن عن مكان لتسكن فيه. هناك 700 ألف لاجيء شيعي في لبنان. دمرنا كل أملاكهم من مكاتب وبنايات ومطاعم وبنوك. قُتل ما بين 430 ـ 800 مخرب. بالنسبة لـ 430 فلدينا أسماء، والعدد يتعدل بين يوم وآخر. لم يقوموا حتى الآن بازالة الأنقاض من القرى التي توجد تحتها جثث عناصر حزب الله. هذه كانت ضربة قاسية لهم.

كل عملية اطلاق لصاروخ بعيد المدى كانت تتحول الى آخر عملية اطلاق، إذ أن سلاح الجو كان يُدمر القاعدة فورا. هذه نتيجة لا يوجد لها مثيل في العالم كله. في حرب الخليج الاولى لم ينجح الامريكيون في ابادة أي قاعدة صاروخية.

لو أنهم كانوا يقولون لكم في الثاني عشر من تموز (يوليو) ان الجيش اللبناني سينتشر في جنوب لبنان في نهاية آب (اغسطس) وتأتي اليه قوة دولية مع تفويض مختلف عن تفويض اليونيفيل، لقلتم لي انني أحلم أحلام اليقظة. ولو قالوا لكم ان نائب نصر الله سيصرح بأن على التنظيم ان ينزع سلاحه، لما صدقتم. هناك تفاعلات لبنانية داخلية. ولو قالوا لكم ان أحد قادة جهاز الأمن في ايران سيقول ان الاسرائيليين هم «مجانين»، وأن على ايران أن تتعلم كيف تدافع عن نفسها منهم، لقلتم ان هذا لا يمكن أن يحدث.

أحد دلائل صعوبة وضع حزب الله هو تشوقه لوقف اطلاق النار. لو أن وضعهم كان أفضل لما مروا مرور الكرام على قتل 11 من عناصرهم منذ وقف اطلاق النار.

والآن يقول قسم من خبرائي اننا لو واصلنا القتال لاسبوع آخر فقط، لكنا فككنا حزب الله. بالنسبة للخسائر فأنا أريد أن اقول لكم أمورا ليست بسيطة. الدولة التي تخرج الى الحرب لا تستطيع أن تتجنب سقوط الضحايا. قلت للحكومة نحن لا ندخل ساحة ملاكمة، وانما نتوجه لتوجيه ضربات شديدة، وفي نفس الوقت سنتلقى الضربات من الطرف الآخر. لدي سؤال. هل يوجد عدد خسائر معقول وشرعي ومقبول؟ هل كان 157 قتيلا سيكون رقما مقبولا في اسرائيل لو أن عدد القتلى في لبنان كان عشرات الآلاف؟.

لدينا أخطاء. الـ 12 مظليا الذين قُتلوا في كفار جلعادي. هذه حادثة لا تخلو من المشاكل. المروحيتان اللتان تصادمتا في الجو. خلل كذلك. أنا فوجئت من التنفيذ على الارض. هم لم يكونوا جيدين لاسباب عدة، والأمر يبدأ من عندي. المشكلة ليست مشكلة عتاد ونواقص في الذخيرة، وانما هو عدم وجود تصميم وعزيمة لدى القادة. لم تكن هناك قيادة حقيقية. في حالتين عادت الكتائب وفرت من المعركة. وفي حالة أخرى بقي قائد اللواء وحده في الميدان في دبابة واحدة مع ضابط آخر بينما انسحبت كل كتيبتهما الى الوراء. كل هذه الأمور قيد التحقيق الآن. قائد كتيبة آخر لم يدخل الى المنطقة في الوقت الذي كانت كتيبته تخوض عملية قتال ضارية غربي لبنان.

ربما لم نكن متنبهين بدرجة كافية للتغيرات التي تُحدثها التكنولوجيا على قيادة القوات البرية.

الجلوس وراء العتاد التكنولوجي يعطي القيادات سيطرة غير عادية على ارض المعركة، ولكنه يعزلهم عن جو المعركة الحقيقي. يجب أن نذكر ايضا أن أي واحد من القادة ومن المقاتلين في الميدان لم يشارك في أي حرب. لدى الجنود اربعة أنواع من الادعاءات: التدريب، والثقة، والقضايا اللوجستية والتغيير المتتابع للمهمات. سمعت جنود الاحتياط الذين يدعونني لتحمل المسؤولية والاستقالة. قلت فورا انني سأصل ذات يوم الى القدس، فان كانوا ما زالوا هناك فسأتوجه اليهم وأصافحهم. من ينفذ المهمة يملك الحق في التعبير عن رأيه. الآخرون ايضا يملكون الحق، ولكنهم هم من يتمتع بالأولوية.

مسؤوليتي بعد الحرب كانت تخليص الجيش. القضية الاولى التي أقلقتني كانت اخراج الجنود المتبقين في لبنان. قلت فورا: منذ اللحظة الاولى التي تصل فيها القوات الدولية سننسحب الى الوراء.

كنت مع التحقيق في الحرب، واذا اتضح في نهاية التحقيق أنني كنت العقبة أمام نجاح الحرب، فلا مشكلة لدي، وأنا لست مربوطا بالكرسي الذي أجلس عليه. ولكنني أقول لا تبحثوا أبدا عن المشكلة في شخص واحد. لنفترض أن رئيس الوزراء ووزير الدفاع ورئيس هيئة الاركان كانوا سيستقيلون، فهل كان ذلك ليُغير حياتنا؟ اذا كنتم تبحثون عن شخص فهذا نقاش من نوع آخر، أما اذا كنتم تبحثون عن التعديل فهذا أمر مغاير.

أنتم بالتأكيد تسألون أنفسكم ما هو الخطأ الأكبر في نظري. يبدو لي أنني لم أُعط وزنا ملائما لقلة تجربة المستوى السياسي. كل شيء قيل لهم، لم نفوت حقيقة واحدة، وضعنا أمامهم أسوأ السيناريوهات، ولكنني اعتقد أنهم لم يدركوا المغزى الكامل في الزمن الحقيقي. تلوين الجُمل والعبارات هو الذي أعطاهم المغزى. هم افترضوا أن حزب الله سينكسر خلال عشرة ايام الى اسبوعين وأن كل شيء سيسير على ما يرام.

رئيس الحكومة جلس في قيادة الاركان في الحادي عشر من تموز (يوليو)، بعد الاختطاف بيوم. تحدثت معه عن التقليصات في الميزانية وقلت ان الفجوة بين القدرات والنظريات آخذة في الاتساع. 14 مليار شيكل قُلصت من ميزانيتنا في السنة الأخيرة. الآن بعد الحرب، يعيدون لنا كل المال خلال سنة واحدة. اذا لم تتم اعادة المال فسأقول نحن لسنا جاهزين للحرب.

أخيرا كنت أود العودة الى التحدث عن انتقاد واحد يُكثرون من طرحه ضدنا: لو أنكم قد أجلتم الخروج الى الحرب لبضعة ايام لكان من الممكن تحسين جاهزية الجيش بصورة دراماتيكية. أنا أقول لكم اننا لو أجلنا العملية لما كانت جرت. هذه ليست حرب حزيران (يونيو) التي سبقتها ثلاثة اسابيع من الانتظار. لو أننا لم نشن الحرب فورا لكنا مع ثمانية قتلى ومخطوفين وكرامة وطنية في الحضيض وقوة ردعية متآكلة. وحتى جهازي، من ضباط هيئة الاركان كانوا يوصون بعدم الخروج الى العملية. أنا أقول لكم اننا لو انتظرنا 12 ساعة لما خرجت العملية الى طريقها. هذه كانت كلمات الاختتام في خطاب رئيس هيئة الاركان، والآن ستبدأ الاسئلة.

سيدي القاضي

ايهود اولمرت لا يملك طاقم مزرعة كما كان لدى شارون ـ مجموعة من الموالين الذين يعتبر نجاحه نجاحهم ومستعدون لكل نداء للواجب. عندما وصل اولمرت الى الادراك أن وضعه يائس الى هذه الدرجة، استدعى اليه في يوم الثلاثاء من هذا الاسبوع اشخاصا من دوائر مختلفة. كان هناك مساعدوه القدامى عوفيد يحزقيل وشولا زاكين اللذان يعملان اليوم في ديوان رئيس الوزراء، وكان هناك رئيس طاقمه يورام توربوفيتش وكبار ديوان شارون الذين تبقوا في الديوان، يسرائيل ميمون وآسي شريف، كما كان هناك طال زلبرشتاين، مستشار باراك السابق الذي التحق باولمرت، كما كان هناك أوري شني ودوف فايسغلاس من أعوان شارون واللذان انجذب اولمرت الى خبرتهما.

هم وجدوا أمامهم اولمرت الذي يختلف عن الشخص الذي كانوا يعرفونه: صامت، منغلق على نفسه، كثير الاصغاء، ومع ذلك لديه سيطرة مذهلة على نفسه. قلق جدا ولكن من دون فزع. هم قدموا له نصائح. اوري شني دعاه بابداء القوة والعزيمة، ولكن من دون أن يقول له كيف يمكن القيام بذلك. زلبرشتاين دعاه الى إحداث انفجار سياسي يطلق طاقات جديدة، ولكنه لم يقل له من أين يأتي بمادة الـ تي.ان.تي. فايسغلاس كان أقل منهم تفاؤلا. هو قدر أنه من اللحظة التي أقام فيها بيرتس لجنة التحقيق الثانوية برئاسة أمنون شاحك فهو قد حكم على نفسه وعلى اولمرت وعلى حكومتهما بالعيش تحت رحمة لجنة التحقيق الرسمية. البوابة فُتحت والضغط الجماهيري هو الذي سينفذ ما تبقى من المهمة.

من اجل فهم ما حدث لاولمرت يتوجب فهم ما حدث لبيرتس. قراره بتعيين لجنة تحقيق داخلية اتُخذ بنصيحة ثلة من الاشخاص السياسيين الذين يعتبرون مستشارين له. بيرتس لم يتشاور مع أي شخص في ديوانه، وحتى رئيس هيئة الاركان سمع عن النبأ في وسائل الاعلام. المدعي العام العسكري الرئيسي الذي كان بامكانه أن يوضح لبيرتس أنه لا يوجد أساس قانوني لتشكيل اللجنة، لم يُسأل عن رأيه. بيرتس اكتفى بارسال تقرير لرئيس الوزراء.

على الفور تبلورت في داخل الجهاز جبهة مضادة للجنة. حلوتس اعتبر اقامة اللجنة خطرا كبيرا، الأمر الذي سيحول دون قيام الجيش بتحقيقاته المطلوبة حتى يُعدل الاخطاء التي ظهرت ويستعد للجولة القادمة. هو طلب نصف سنة، أو على الأقل ثلاثة اشهر من الانتظار قبل أن تبدأ التحقيقات الخارجية.

اللجنة الداخلية التي شكلها بيرتس تبدو في وسائل الاعلام كمحاولة منه للهرب من المسؤولية وتلفيق التحقيق. بيرتس نفى ذلك، وعلى الرغم من ذلك اعتبرت اللجنة منذ ولادتها مناورة لطمس الحقائق. عضو اللجنة هرتسل بودينغر سارع الى الاستقالة. آخرون ترددوا اذا كان عليهم السير وراءه أم لا. خلال يومين زال سريان لجنة ليبكين شاحك. كل ما فعلته هذه اللجنة هو أنها زادت الضغوط لتشكيل لجنة التحقيق الرسمية. هذه التجربة كانت قد حدثت في السابق ايضا وأدت الى نفس النتيجة: تشكيل لجنة تحقيق رسمية. على اولمرت وبيرتس أن يخشيا في الأساس من قاض واحد: أهارون باراك. هو وحده القادر من خلال مكانته الاعتبارية وقدرته على تحويل لجنة التحقيق الى خاتمة كبرى لمسيرته كقاض للمحكمة العليا طوال 29 عاما. هذا سبب آخر لاثارة قلق اولمرت وبيرتس: باراك لا يمكنه أن يختتم مسيرته الحافلة بإدانة وهمية وشكلية.

الرابح الأساسي والفوري من الحرب هو نتنياهو. الاصوات التي فرت لاولمرت وبيرتس تبحث في داخل الفراغ العام عن اسم تتشبث به، ونتنياهو هو الاسم المتوفر. من الممكن القول بحقه أنه قد وضع كل جهوده خلال الحرب للدعاية لاسرائيل في الخارج، وكان معارضا ملتزما بالخط الرسمي. وعندما توقفت النيران عرف كيف يضبط نفسه، وترك الآخرين يقومون بالمهمة بدلا عنه، ويشقون الطريق له. في الوقت الحالي هو يجس نبض صغار قادة كديما الذين خرجوا من الليكود اذا كانوا مستعدين للقفز من سفينتهم الغارقة والعودة الى سفينته التي كانوا قد تركوها قبل سنة فقط. السياسة الاسرائيلية الحالية هي سياسة السفن الغارقة، ولا يبقى فيها إلا من يعرف كيف يسبح.

احدى المسائل المركزية في الجدل الذي احتدم بعد الحرب هي من المذنب في الاعداد الخاطىء والمصاعب اللوجستية التي برزت. ما هو إسهام كل من شارون وموفاز ويعلون في ذلك، وفي مسار آخر الى أي مدى أثرت التقليصات القاسية التي جرت على الميزانية في الفترة التي كان فيها نتنياهو في المالية على استعدادية الجيش للحرب. بكلمات اخرى، هل يعتبر نتنياهو جزءا من الحل مثل غيره من الشخصيات السابقة والقيادية، أم أنه جزء من المشكلة؟ نتنياهو صد في هذا الاسبوع الادعاءات حول إسهامه في التقليصات. وقال انه خلال سنواته الثلاث في المالية كانت ميزانية الدفاع من أعلى الميزانيات عمليا في تاريخ الدولة كلها، والأرقام تتحدث عن نفسها. ولكن عندما كان نتنياهو رئيسا للوزراء تحدث بلغة اخرى مغايرة تماما. في ايلول (سبتمبر) 2003 مثلا اتهم نتنياهو بأن «ميزانية جهاز الدفاع ازدادت في السنوات الأخيرة مثل أسهم المازدا. بعد الانهيار في العراق أُزيل من فوق رأس اسرائيل للسنوات القادمة تهديد الجبهة الشرقية، وعليه أصبح من الممكن تقليص النفقات الأمنية».

سيدة لبنانية تبكي اقاربها خلال تشييع شهداء قرية مروحين

شمعون شيفر وناحوم برنياع
كاتبان في الصحيفة
(يديعوت احرونوت) 2006/8/25